(177) وعلى ضوء ذلك تمثّل معبوداتهم الكاذبة مثل العبد الرق المملوك غير المالك لشىء، ومثله سبحانه كمثل المالك للنعمة الباذل لها المتصرف فيها كيف شاء. وذلك لاَنّ صفة الوجود الاِمكاني ـ أي ما سوى ا ـ نفس الفقر والحاجة لا يملك شيئاً ولا يستطيع على شيء. وأمّا ا سبحانه فهو المحمود بكلّ حمد والمنعم لكلّ شيء، فهو المالك للخلق والرزق والرحمة والمغفرة والاِحسان والاِنعام، فله كلّ ثناء جميل، فهو الربّ ودونه هو المربوب، فأيّهما يصلح للخضوع والعبادة؟ ويدل على ما ذكرنا انّه سبحانه حصر الحمد لنفسه، وقال: الحمد أي لا لغيره، فالحمد والثناء ليس إلاّ سبحانه، و مع ذلك نرى صحة حمد الآخرين بأفعالهم المحمودة الاختيارية، فنحمد المعطي بعطائه والمعلم لتعليمه والوالد لما يقوم به في تربية أولاده. وكيفية الجمع انّ حمد هوَلاء تحميد مجازى، لاَنّ ما بذله المنعم أو المعلم أو الوالد لم يكن مالكاً له، وإنّما يملكه سبحانه فهو أقدرهم على هذه الاَعمال، فحمد هوَلاء يرجع إلى حمده وثنائه سبحانه، ولذلك صح أن نقول: إنّ الحمد منحصر با لا بغيره.ولذلك يقول سبحانه في تلك الآية: (وَالحَمْدُ ِ بَلْ أَكْثَرهُمْ لا يَعْلَمُون) أي الشكر على نعمه، يقول الطبرسي: وفيه إشارة إلى أنّ النعم كلّها منه. (1)

_____ 1 ـ مجمع البيان:3|375.